

نقوش ثمودية من سكاكا

(تأليف سليمان بن عبدالرحمن الذبيب)

صدر هذا الكتاب القيم لمؤلفه الباحث الأثري سليمان بن عبدالرحمن الذبيب ضمن مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية سنة ٢٠٠٢ م .

وهو دراسة علمية تحليلية لمجموعة من النقوش الشمالية «التمودية» وجدت في ثلاثة مواقع إلى الجنوب من مدينة سكاكا السعودية ، هي : قاع فريجة ، والطوير ، والقدير .

تقع هذه الدراسة في ٢٠٧ صفحات من القطع المتوسط ، وتتكون من مقدمة وفصلين وعدد من الملاحق والصور ، واللوحات والرسومات ، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع .

ويشير المؤلف الذبيب في المقدمة إلى أهمية منطقة الجوف السعودية بما تحويه من ثروات أثرية ضخمة من الكتابات العربية التي تنتشر في مناطقها ، ومن بينها المواقع الثلاثة المذكورة .

والفصل الأول من هذا الكتاب مقارنة أولية في عالم تلك النقوش ، وصف من خلالها المؤلف أشكالها وخطوطها ورسومها ، وما تحويه من معلومات إيضاحية تعطي القارئ بعض التصورات العامة عن مجتمع الجوف التمودي ، حيث بيّن الذبيب في هذا

عرض
الأستاذ :
أحمد
الحسين*

* ماجستير الأدب
العربي - دراسات
أدبية من جامعة
حلب ١٩٨٢ م .
- عضو اتحاد
الكتاب العرب
في دمشق .
- يعمل الآن مدير
الثقافة
بالحسكة -
سوريا .

الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / مايو ٢٠٠٣ م
جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ / أغسطس ٢٠٠٣ م

السنة السادسة
العددان : الحادي والعشرون والثاني والعشرون

الفصل أن دراسته تتناول تحليل / ١٠٩ / نقوش كتابية ، منها ٣٤ نقشاً ثمودياً من قاع فريجة ، و ٣٤ نقشاً ثمودياً آخر من موقع الطوير ، و ٤١ نقشاً ثمودياً من موقع القدير .

أهمية الدراسة :

وقد كشفت دراسة الذيب التحليلية أن زمن كتابة هذه النقوش يرجع إلى حقبتين من تاريخ الحضارة الثمودية هما :

- الحقبة الثمودية المتوسطة ، وتشمل القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد .
- الحقبة الثمودية المتأخرة ، وتشمل القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي .

كما أظهرت هذه الدراسة استمرار الاستيطان البشري للقبائل الثمودية في الحقبتين المتوسطة والمتأخرة في منطقة الجوف التي شهدت كما يبدو استقراراً سياسياً واقتصادياً ، دفع القبائل الثمودية للهجرة من منطقة حائل والاستقرار في الجوف .

والأهم من ذلك أن هذه النقوش التي جاءت على شكل تذكارات فردية استطاعت أن تعطينا تصورات مقبولة عن طبيعة المجتمع الثمودي ، وعلاقات أفراده الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية ، حيث تبين أن مجتمع الجوف الثمودي عرف الزراعة والاستقرار الزراعي ، إلى جانب الرعي والاهتمام بتربية الإبل والمواشي ، وامتهان بعض أفراد التجارة وخفارة القوافل في الصحراء :

ومن خلال النصوص المنقوشة ثمة إشارات إلى بعض التصورات الدينية للثموديين ، الذين عرفنا من آلهتهم : أشر ، رض ، ود ، اللات ، إذ كانوا يتوجهون إليها بالدعاء ، ويقدمون لها القرابين والصدقات ، طلباً للصحة والعافية والسلامة .

كما تكشف نقوش سكاكا عن أهمية العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأسر والأفراد ، وتشير إلى بعض المفاهيم الاجتماعية المعبرة عن صلات الأفراد وعلاقاتهم بالبيئة المحيطة بهم ، وما تثيره من ظروف ونوازع الارتحال ومشاعر الشوق والحنين إلى الأهل والأصدقاء وأرض الوطن .

ويمكن القول : إن تلك الكتابات نقلت إلينا أسماء بعض القبائل الثمودية التي طواها النسيان ، وأسماء عدد من المواقع والمواضع .

ويمكن الاستنتاج من خلال محتوى تلك النقوش أن المرأة الثمودية نالت مكانة اجتماعية محترمة ، إذ نقلت إلينا خمسة نقوش لنساء ثموديات كاتبات بعضاً من مشاعر المرأة وعواطفها نحو الرجل الذي كان هو الآخر يكن لها المشاعر والعواطف ذاتها .

أشكال النقوش وخطوطها :

وحين يتحدث المؤلف عن أشكال النقوش وخطوطها يذكر أن تلك الكتابات نقشت على الصخور بأدوات بدائية ، وبالتالي فإن شكل الصخرة ، وحجمها ، وسطحها ، والعوامل الطبيعية المؤثرة فيها ، بالإضافة إلى تدخلات الإنسان ، أثرت في وضوح الكتابة ، ودقة حروفها ، وإتقان رسومها ورموزها .

ومن خلال المعاينة تبين أن النصوص المنقوشة تكتب داخل أطر متعددة الأشكال، أكثرها استعمالاً هما الشكلاّن : الأسطواني والدائري . وغالباً ما يضيف إليها الكاتب خطوطاً سحرية، أو عبارات دعائية، تحذر من الإساءة إليها، أو العبث بها .

ويبيّن الباحث الذيب أن الكاتب الثمودي استعمل عدة أشكال من الخطوط

الكتابية وهي بشكل عام :

- الخط المستقيم الأفقي وتقرأ بعض نصوصه من اليمين إلى اليسار ، كما يقرأ بعضها الآخر من اليسار إلى اليمين .
- الخط المنحني المائل : ويقرأ كذلك من اليمين إلى اليسار وأحياناً من اليسار إلى اليمين .
- الخط العمودي : وتقرأ بعض نصوصه من الأعلى إلى الأسفل وبالعكس أحياناً .
- الخط المتعرج أو الزقزاق .

ويلاحظ المؤلف أن الكاتب الثمودي يبدأ كتابة الجملة أو النص ، بحرف اللام أو الباء ، ويعنيان «بواسطة» وبعض الكتابات تبدأ بالاسم المفرد ، أو بمصطلح تحيات، أو تحيات لـ ، كما أن قسماً آخر يبدأ بحرف العطف مع اسم إشارة ، أو بحرف العطف الواو مع ضمير رفع منفصل للمتكلم .

تحليل الأسماء ودلالاتها :

تضم نقوش المواقع الثلاثة ١٥٢ اسماً ، منها ٤٦ اسماً ترد ، كما يقول المؤلف للمرة الأولى .

ومن الطريف أن المؤلف في تحليله لتلك الأسماء يثبت أن مفردات الأسماء وأوزانها ودلالاتها هي ذاتها ، كما عرفها العرب لاحقاً ، وكما نعرفها اليوم ، فالأسماء التي وردت في نصوص سكاكا جاءت وفق الصيغ الصرفية والنحوية السائدة في اللغة وهي :

- صيغة العلم المفرد مثل سلمان ، وهدة ، ناصر ، غالب ، حبّاب ، سَطّام ، مسلمة محارب ، مفيد ، مالك ، عبادة ، أكتب ، معتب .
- الصيغة المركبة ، أو المختصرة مثل : هبة الإله ، عبدالإله ، فرق شتت ، شمسي «شمس .ي.» .

وتنطلق اشتقاقات الأسماء ودلالاتها من اعتبارات لا تزال متداولة في الذاكرة الشعبية ، إذ يدل بعضها على صفات جسمية مثل : شل «المعوج الأعصم» وضناك : السمين ، وكنع «قصر اليدين والرجلين» وعرج «الأعرج» وجرشع «عظيم الصدر» وبعضها مأخوذ من أسماء حيوانات وحشرات البيئة مثل : عقرب ، نمس ، جَعَل ، في حين أن بعضها الآخر يدل على هيئة أو مناسبة أو مهنة ، أو عنصر من عناصر البيئة مثل : بكر ، حجر ، رحيق ، نادل ، كاتب ، أو يدل على صفات توحى بمعاني القسوة والشدة ، واللين ، والتمني ، والرجاء .

تصنيف محتوي النقوش :

ويوضح المؤلف أن النقوش الثمودية ، موضوع دراسته ، تتكون في بنيتها من عبارات موجزة لا تتجاوز بضع كلمات أو جمل في أغلب الأحيان ، ويمكن تقسيمها من حيث مضمون تلك العبارة إلى عدة أقسام هي :

- نصوص دعائية : يتوجه فيها الكاتب إلى الآلهة بالدعاء طلباً للصحة والعافية والسلامة ، أو يذكر من خلالها ما قام به من تقديم قربانين وأضحيات لها ، كما يعبر عن ذلك مضمون النقش ١٠١ ، (بواسطة حمي ابن سمي واشتاق لسعدة ، ويا أشر «آلهة السلامة») .

- نصوص تذكارية : وتمثل أكثر النصوص السابقة ، وتبدأ بكلمات من نمط : تحيات ، تحيات لـ ، حيث يذكر اسم العلم المخصوص بها ، ومن ذلك ما جاء في النقشين / ٦٣ و ١٠٦ / (تحيات لحمد ، وتحيات لداسل ، وأنا رحيق ، تحيات لنبيلة وأنا مالك) .

- نصوص الاشتياق : وتحمل الفعل اشتاق ، ويكون ذلك لصديق ، أو للأهل ، أو للأرض ، كما في النقش / ١٠٨ / : (بواسطة عليان بن بدال واشتاق إلى جرشع بن تيم) .

- نصوص الحزن : وتتضمن الفعل وجم أي حزن ، ودواعي ذلك الحزن الفراق

والارتحال أو الموت ، وهذا ما تجلى في النقش / ٧٧ / ومحتواه : (بواسطة أمة بن ثيديره ، وحزن على محارب وعلى محبوب ، وعلى آل أمه كلهم ، وسلاماً من الإلهة رض) .
- **نصوص الحب** : وتدلل على علاقة الرجل والمرأة ، وتعبّر عن عواطفهما المشتركة كما عبّر عنها النقش / ٩١ / (بواسطة ربكة واشتافت لأمه) .

الرسوم والأشكال :

وتحتوي النقوش الثمودية إلى جانب العبارات المكتوبة عدداً من الرسوم والأشكال والرموز ، ويلاحظ أن الرسوم بشكل عام بسيطة وغير متقنة ، وهي تمثل رسوماً آدمية ، لفرسان يمتطون خيولاً ، أو مشاهد لمواكب الرحيل ، والصيد ، ورسوماً لأشخاص في هيئات متعددة ، وهناك أيضاً رسوم حيوانية وحشرات ، وأكثرها حضوراً صورة الجمل ، والناقة والنعام والوعول ، والكلاب والحمير والعقارب ، بالإضافة إلى بعض الأدوات كالرماح ، والدروع ، وقرص الشمس .. إلخ ، وبعض الأشكال المستمدة من البيئة ومظاهر الطبيعة .

منهجية تحليل النقوش :

ويُعدّ الفصل الثاني من هذا الكتاب زبدة البحث ، وخميرة الدراسة التحليلية . ومن خلاله تجلت ثقافة الباحث ، وسعة اطلاعه ، وخبرته وقدرته على التحليل والمقارنة ، والاستنتاج .

وتقوم منهجية الذيب في تحليل مادة النقوش على تثبيت أبجدية الكلمات ، وتوضيح طريقة القراءة وكيفيةها ، وزمن الكتابة ، ومظهر النقش ، والرسومات التي تحيط به ، ثم عرض مفردات النص ، وبنيتها اللغوية والكتابية ، بالاعتماد على المقارنات والموازنات حول اللفظ والمعنى والخط ، بين الثمودية وأسرة اللغات السامية ، كالصفوية واللحيانية ، والسبئية ، والمعينية ، والآرامية ، والحضرية ،

والتدمرية ، والأوجاريتية ، والحبشية ، والعربية ، والنقوش السامية الأخرى .
وهو يستعين في تثبيت قراءة النصوص ، واستخلاص معاني المفردات
بالاعتماد على تلك اللغات ، وما دونته المعاجم العربية ، ويسترشد أحياناً بقراءات
بعض الباحثين الآخرين من علماء آثار غربيين وعرب .
ولتوضيح جوانب منهجية الباحث الذيب نقتبس مقطعاً مما ورد في تحليله
لمضمون النقش ٧٢ نوره بنصه كما يلي :

ل س ك ن و ت ش و ق ال س ط م

بواسطة ساكن الذي اشتاق إلى سطاّم

كتب هذا النقش العائد للحقبة الثمودية المتأخرة ، بأسلوب الخط المستقيم ،
ويقرأ أيضاً من اليمين إلى اليسار ، والقراءة المعطاة أعلاه جيدة .
- فيما عدا العلم الأخير «سطاّم» ، الذي قد يقرأ : «س ح م» نظراً للتشابه الكبير
بين شكل حرفي الطاء والحاء في الثمودية ، والعلم «س ح م» ورد في النقوش
الصفوية ، ويمكن مقارنته بالعلم سحيم الذي ورد في الموروث العربي ، وقد فسره
ابن دريد ، بمعنى الأسود .

- س ك ن : علم بسيط على وزن فاعل : يعني المطمئن ، الساكن ، المستقر ، ورد في
النقوش الثمودية ، والليمانية ، والأوجاريتية ، بينما ورد بصيغة «س ك ن م» في
النقوش القتبانية والأمورية ، وبصيغة «س ك ن ي» في التدمرية ، وبصيغة «س ك
ن ي ت ن» في النقوش الفينيقية ... إلخ .

- س ط م : علم بسيط على وزن فعّال : «يعني حد السيف ، والسطم والسطام هو
حد السيف» .

خاتمة واستنتاجات :

ولا بد من التنويه في هذا الجانب بعد عرض دراسة الباحث سليمان بن عبدالرحمن الذبيب بأهمية هذا الجهد الذي بذله ، والذي يكتمل من خلال جهوده البحثية والأثرية المتعلقة بدراسة النقوش الآرامية والنبطية في بعض مواقع شبه الجزيرة العربية ، التي شهدت انبعاث واندثار العديد من المجتمعات والحضارات العربية القديمة ، والتي لا يزال الغموض يكتنف معرفتنا بها ، ويظل تاريخها ضرباً من التكهّنات والمرويات الشعبية .

ولعل مما يضيف على هذا البحث أهميته ، ويعطيه قيمته العلمية ، ما أضافه الباحث من رسومات للنقوش المدروسة مع الصور الفوتوغرافية لكل نص ، وما ألحقه ببحثه من فهارس لأسماء الأعلام والقبائل ، والأماكن ، والآلهة التي وردت في هذه المجموعة من النقوش .

ونود أن نشير هنا أن ثمة صعوبات اعترضت جهد الباحث في قراءة تلك النصوص وتحليلها ، وهي صعوبات موضوعية ، بعضها ناتج عن أثر العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في تشويه تلك الكتابات ، وبعضها الآخر ناشئ عن تطور الأبجدية الثمودية ، وتشابه كتابة بعض حروفها ، وما يتركه ذلك من اختلاف في قراءة بعض المفردات .

وعلى الرغم من ذلك فقد بذل المؤلف قدراً كبيراً من الجهد العلمي ، في تدليل تلك الصعوبات ، وتمكن من تصويب بعض القراءات السابقة ، معترفاً في الوقت ذاته ، وبكل ما تمليه موضوعية البحث ، وأمانة الباحث وتواضعه ، أن بعض القراءات التي أثبتتها ، قد لا تكون دقيقة أو مؤكدة للأسباب الموضوعية السابقة ، وأحسب أن ذلك كان في حالات قليلة ومحدودة ، نأمل أن تتجاوزها الدراسات اللغوية والمكتشفات الأثرية المستقبلية .